العرب
الثلاثاء 2021/11/16
السنة 44 العدد 12242

«خديجة».. أمّ تلقي بوحيدها في النيل انتقاما من زوجها

الروائي القصير يسلّط الضوء على المشكلات النفسية للمرأة المصرية

يدخل مخرجون عرب من فئة الشباب، وخاصة حديثي التخرّج من المعاهد السينمائية أو أولئك الذين لا يملكون موارد إنتاجية كبرى أو خبرة واسعة في عالم السينما، الإخراج السينمائي من بوابة الأفلام القصيرة روائية كانت أم وثائقية، ليسردوا وقائع حقيقية قد تكون صادمة في الغالب. ومن بين هؤلاء يحضر المخرج المصري مراد مصطفى عبر فيلم "خديجة" الذي شارك به في مهرجان أيام قرطاج السينمائية الأخير.

حنان مبروك
صحافية تونسية

تونس - أثارت حادثتان غريبتان متشابهتان أقدمت خلالهما سيدتان الأولى مصرية والثانية عراقية على رمي طفليهما في النهر ضجة في الأوساط الإعلامية بمصر والعراق خلال العام 2019، حتى أن الواقعة المصرية كانت دافعا لإنتاج فيلم روائي قصير يتناول الجانب النفسي الذي قد يدفع بأمّ شابة للتضحية بفلذة كبدها.

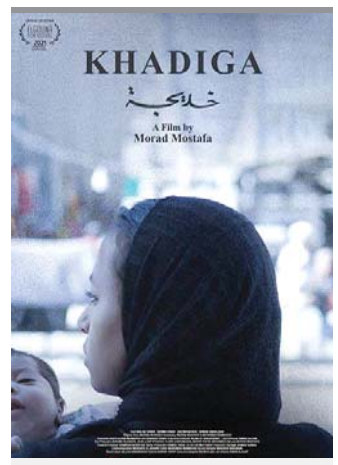

لا شيء يمكن أن تقوله خديجة لتبرّر به ما حصل سينمائيا، ولا شيء قد يبرّر حادثة إلقاء وحيدها في النهر واقعيا

وفي العام 2019، وبعد ساعات قليلة من طلاقها حملت سيدة مصرية ثلاثينية طفلها الذي لم يتجاوز الثلاث سنوات، وألقت به في نهر النيل بالقرب من منزل أسرتها في محافظة بني سويف. لكن القدر لم يشأ له الموت.

قصة حقيقية

"مللت حياتي وتعبت من الدنيا وما فيها، ففكّرت بالانتقام من والده لأنه طلقني"، هكذا كانت اعترافات الأم في محضر الشرطة المصرية، في حين اعتبرت عائلتها أن ابنتها تعاني من مشكلات نفسية أفقدتها القدرة على الاتزان العقلي ودفعتها إلى رمي ابنها في نهر النيل. ورغم ذلك برّرت الأم فعلتها بتعرّضها لضغوط نفسية من طليقها ووالدتها.

ويطرح فيلم "خديجة" للمخرج المصري مراد مصطفى هذه القضية من زاوية سينمائية مقتضبة، بكادرات تصوير ولقطات تراوحت بين الواسعة والقريبة، وحوار مختزل جعل الفيلم أقرب إلى السينما الصامتة، علّه يسلط الضوء، عبر أداء الممثلين وقدراتهم على تطويع تقاسيم الوجه للتعبير عن المشاعر والأفكار، وعلى ما لم تقله "خديجة" حول دوافعها للتضحية بابنها.

والمخرج مراد مصطفى له ثلاثة أفلام روائية قصيرة؛ أولها "حنة ورد" وثانيها "ما لا نعرفه عن مريم"، وسبق أن شارك بفيلمه الأخير "خديجة" في الدورة الخامسة لمهرجان الجونة السينمائي، قبل أن يشارك به في الدورة الثانية والثلاثين لأيام قرطاج السينمائية ضمن مسابقة الأفلام الروائية القصيرة.

واختار مصطفى أن يخصّص أعماله السينمائية للحديث عن قضايا نسوية فكانت بطلات أفلامه الثلاثة أمهات بأعمار وجنسيات مختلفة، يمثّلن نماذج روائية عن ضحايا العنف المجتمعي، كل واحدة حسب حكايتها، وهو يقول في تصريحات صحافية متواترة أنه لا يُحاول تقديم رسالة معيّنة ويكتفي فقط بالرصد والحكي والتساؤل.

وتدور أحداث الفيلم حول "خديجة" (الممثلة ملك طارق) وهي أم شابة في الثامنة عشرة من عمرها، تعيش بمفردها مع طفلها حديث الولادة، بعد أن غادر زوجها للعمل في مدينة أخرى وصار غير قادر على زيارتهما لظروفه المادية الحرجة.

تبدو خديجة طيلة الفيلم، امرأة حزينة، مرهقة، وشديدة الصمت، فقط تقاسيم وجهها هي التي تنطق بأوجاعها النفسية وبالحزن الجاثم على صدرها، تراقبها عدسة الكاميرا حين تلتقي بصديقتها أو تركض خلف الحافلة والتاكسي الجماعي، هي نفسها، صامتة بملامح حزينة تائهة، إلى أن تقرّر في أحد الأيام وهي بصدد التجوّل في شوارع القاهرة الصاخبة إلقاء ابنها في نهر النيل، ثم تتّجه لزيارة والدتها، تقابلها بملابس جميلة اقتنتها بحب للطفل الصغير، تكلمها فلا ترد، تستغل مساحة الحرية داخل "الحمام" كي تبكي وتعبّر عمّا تخفيه عن أهلها.

ينتهي الفيلم عند هذا الحدّ، بنهاية مفتوحة تترك للمشاهد حرية تخيّل ما يمكن أن يحصل في مثل هذه الحوادث، فلا شيء يمكن أن تقوله خديجة لتبرّر به ما حصل "سينمائيا" ولا شيء قد يبرّر الحادثة في الواقع.

تداعيات اقتصادية

يقول المخرج مراد مصطفى إنه تعمّد اختيار شخصيات لا تمتلك خبرة سابقة في مجال التمثيل لبطولة الفيلم، حتى يبدو حقيقيا إلى أقصى درجة.

كما أن الأفلام الروائية القصيرة تعدّ محكومة بزمن محدّد نسبيا مقارنة بالأفلام الطويلة، فالمخرج مطالب بإيصال فكرته وفق رؤية إخراجية وسيناريو لا يتجاوز النصف ساعة كأقصى تقدير، والتي قد تبدو أحيانا للمُشاهد، مساحة زمنية غير كافية لتبليغ الفكرة العامة للعمل السينمائي.

والفيلم من إنتاج فرنسي مشترك؛ قصة مراد مصطفى، سيناريو وحوار مراد مصطفى ومحمد ممدوح، وإنتاج شركة ريد ستار.

ومراد مصطفى مخرج مصري من مواليد القاهرة، عمل مساعد مخرج في العديد من الأفلام المستقلة، ثم تعاون كمخرج منفذ في الفيلم الروائي الطويل "سعاد" للمخرجة آيتن أمين، والذي تم اختياره رسميا في مهرجان كان السينمائي الدولي عام 2020 ومهرجان برلين 2021، كما رشحته مصر لتمثيلها ضمن القائمة الأولية للأفلام الأجنبية المنافسة على الأوسكار هذا العام.

وكتب مصطفى وأخرج فيلمين قصيرين هما "حنة ورد" و"ما لا نعرفه عن مريم"، عُرضا عالميًا في مهرجان "كليرمون فيران الدولي" والذي يعدّ أهم حدث سينمائي في العالم متخصّص في الأفلام القصيرة.

صمت يخفي أوجاعا صارخة

وتشهد المجتمعات العربية اليوم، ومن بينها المجتمع المصري، ارتفاعا ملحوظا في معدلات الجرائم المرتكبة، بما يشكّل أزمة حقيقية لا بدّ من تكاتف الجهود الحكومية والخاصة للبحث في أسبابها وإيجاد حلول لها.

مراد مصطفى

لا أحاول في الفيلم تقديم مواعظ، بل أكتفي بالرصد والتساؤل

وأصبحت مشاركة المرأة في الجريمة في المجتمعات العربية أمرا واقعيا وملموسا وفي تزايد مستمر وخطير، ممّا ينذر بأن المجتمعات باتت تواجه ظاهرة التغيّر الاجتماعي نحو الأسوأ، وأن تداعيات الأزمات الاقتصادية وغياب التأطير النفسي ترفع من منسوب الجريمة في الدول العربية وخاصة ذات الاقتصاد المحدود.

وتحتلّ مصر المركز الثالث عربيا والرابع والعشرين عالميا، بحسب تصنيف نامبيو لقياس معدلات الجرائم بين الدول.

وتنتشر جرائم القتل العائلي بكثرة في مصر، حيث تشكّل ربع معدل جرائم القتل في البلاد، بحسب دراسة ميدانية أجراها مركز البحوث الاجتماعية والجنائية في مصر، كما ارتفعت معدلات الجرائم الأسرية بشكل كبير بسبب جائحة كورونا، وبقاء عائل الأسرة في المنزل لفترات طويلة وقلة الدخل مقارنة بالمصاريف، وتحوّل الظروف الاقتصادية إلى الأسوأ بشكل كبير.

ويحذّر خبراء وأطباء نفسيون من أن هناك تساهلا في ارتكاب الجريمة لدى الكثيرين مؤخرا، وأصبح ارتكاب الجريمة بديلا سهلا للخروج من العلاقات المتعبة والتخلّص من المسؤوليات التي تثقل كاهل الإنسان حتى لو كان الثمن دفع العمر بأكمله جراء القتل العمد.

مهرجان القدس السينمائي الدولي يستحدث جائزة لـ«أفلام الموبايل»

غزة (فلسطين) - أعلن رئيس مهرجان القدس السينمائي الدولي عزالدين شلح أن إدارة المهرجان في دورته السادسة المزمع انطلاقها في مدينة غزة بتاريخ التاسع والعشرين من نوفمبر الجاري، والذي يصادف اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ويتواصل إلى غاية السادس من ديسمبر القادم، قرّرت إضافة جائزة لأفلام الموبايل لخصوصية الوضع الفلسطيني.

ويستقبل المهرجان أفلام الموبايل الروائية والوثائقية من جميع أنحاء العالم، شرط أن تلتزم بأهداف المهرجان المتجسّدة في أن يحمل الفيلم رسالة إيجابية، وبأن يكون مصوّرا على هاتف محمول، ولا تقل مدته عن دقيقة واحدة ولا تزيد عن ثلاث دقائق.

وأضاف شلح أن "الوضع الفلسطيني له خصوصيته، حيث وجود الاحتلال الذي يمارس البطش والاعتداءات بشكل يومي على شعبنا الفلسطيني، سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة، ونشاهد جميعا ما يحدث في الشيخ جراح وسلوان وبيتا وغزة، لقد كانت هناك الآلاف من اللقطات القوية التي يمكن من خلالها خلق أفلام على الموبايل".

وأضاف "نودّ تعزيز الهوية الوطنية من خلال تشجيع الشباب على تنمية قدراتهم، وإرسال رسائل سينمائية للأحداث وليس رسائل إخبارية، لما للسينما من دور مؤثر في تعديل الصورة الذهنية لدى المشاهد الأجنبي".

وتم اختيار أكثر من مئة فيلم من إحدى وعشرين دولة بين عربية وأجنبية للمشاركة في المهرجان هي: مصر، لبنان، الجزائر، تونس، المغرب، سوريا، الكويت، السودان، العراق، الأردن، سلطنة عُمان، اليمن، الإمارات، قطر، السعودية، البحرين، فرنسا، أستراليا، الهند، وتركيا، بالإضافة إلى فلسطين البلد المُضيف.

عزالدين شلح

نود إرسال رسائل سينمائية عن فلسطين وليس رسائل إخبارية

ومن بين الأفلام المشاركة في فئة الأفلام الروائية الطويلة "أنفينيتي" (ما لا نهاية) من أستراليا، و"الجزائر" من الجزائر، و"أنديجو" من المغرب و"رولم" من السعودية للمخرج عبدالإله القرشي، الذي يرصد فيه رحلة شاب يُعيد اكتشاف مدينة جدة بعيون مصوّر سينمائي متقاعد.

كما تضمّ المسابقة فيلم "قابل للكسر" للمخرج المصري أحمد رشوان، والذي تدور أحداثه حول الأيام الثلاثة الأخيرة القاسية والصعبة لنانسي (حنان مطاوع) وهي في طريقها لوداع المدينة والأصدقاء والأشياء، بعد أن قرّرت أن تغادر مصر متوجهة إلى كندا.

أما في فئة الأفلام الوثائقية الطويلة فتضمّ أكثر من عشرة أفلام من بينها "قفص السكر" من سوريا، و"لايف جاكيت" من الأردن، و"مدرسة الأمل" من المغرب، و"143 طريق الصحراء" من الجزائر، و"ع السلم" من مصر، و"فتح الله تي.في" من تونس، و"حارس الذاكرة" من فلسطين وغيرها.

وتضمّ فئة الأفلام الروائية القصيرة أكثر من عشرة أفلام من بينها "قتل معلن" من سوريا، و"الهدية" من فلسطين، و"ماجدة" من مصر، و"حياة" من تونس، و"الشباب يرفض النوم" من فرنسا، و"انتهى الوقت" من العراق، و"قسوة الحياة" من المغرب، و"أرواح عارية" من تونس، والفيلم الغنائي "القدس أرض الله الطاهرة" من الجزائر وغيرها. ويضاف إلى الأفلام المذكورة نحو عشرين فيلما في فئتي "الأفلام الوثائقية القصيرة" و"أفلام قسم الهواة".

وتتنافس الأفلام المشاركة على جائزة غصن الزيتون الذهبي لكل فئة، وجائزة غصن الزيتون الذهبي لأفضل ممثل وممثلة وجائزة الفنان محمد بكري لأفضل عمل وطني للفيلم الوثائقي الطويل. وتتخلّل هذه الدورة ثلاث ورشات عمل حول السيناريو والإخراج والإنتاج.

أما جائزة السيناريو الخاصة فتتضمّن مسابقتين للسيناريو الروائي، الأولى جائزة غصن الزيتون الذهبي لأفضل فيلم روائي طويل، والثانية جائزة غصن الزيتون الذهبي لأفضل فيلم روائي قصير، وهدفها المساهمة في تشجيع كتاب السيناريو للكتابة حول القضية الفلسطينية.

وكان المهرجان أعلن في وقت سابق إهداء دورته السادسة لروح الكاتب والمخرج الفلسطيني الراحل نصري حجاج الذي رحل في الحادي عشر من سبتمبر الماضي عن عمر ناهز السبعين عاما، وكانت إدارة المهرجان قد أبلغت الراحل حجاج في الثلاثين من أغسطس الماضي، أي قبل رحيله بحوالي أسبوعين، قرار تكريمه في الدورة الجديدة، والذي أسعده، متمنيا للمهرجان الاستمرار والنجاح، لكن الموت كان أقرب.

وسيتمّ تكريم حجاج في افتتاح الدورة عبر عرض برومو عن حياته وإنجازاته، وقال شلح في هذا الخصوص إن الكاتب والمخرج الراحل حجاج اعتبر مشاركته في مهرجان القدس السينمائي الدولي من أهم المشاركات في حياته، لأنه يقام في غزة الأحب إلى قلبه، وقد شارك واختتم فيلمه "العصفور" الدورة الثالثة لمهرجان القدس السينمائي الدولي عام 2018، وحصل الفيلم على جائزة غصن الزيتون الذهبي لأفضل فيلم قصير، ومن أبرز أعمال حجاج فيلم "ظل الغياب" الذي تناول ثيمة الموت والمنفى للفلسطيني، وفيلم "كما قال الشاعر" الذي وثّق فيه لحياة الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش.

ونصري حجاج كاتب ومخرج سينمائي فلسطيني من مواليد مخيم عين الحلوة عام 1951 لوالد لاجئ من قرية الناعمة ووالدة لبنانية، ورغم إصراره العيش خارج فلسطين، إلا أن روحه لم تغب أبدا عن فلسطين، والتحق حجاج بصفوف الثورة الفلسطينية ومن ثم أتم دراسته في بريطانيا ليتم إبعاده عنها لاحقا.

المهرجان يستقبل للمرة الأولى هذا العام أفلام الموبايل الروائية والوثائقية التي لا تتجاوز مدة عرضها الثلاث دقائق

وتمّ تأسيس مهرجان القدس السينمائي الدولي من قبل وزارة الثقافة الفلسطينية بالتعاون مع مؤسسات ثقافية فلسطينية وعربية، وهو يستقبل الأفلام الروائية والوثائقية الطويلة والقصيرة للتنافس على جائزة غصن الزيتون الذهبي لكل فئة، بالإضافة إلى جائزة غصن الزيتون الذهبي لأفضل ممثل وممثلة، وأيضا جائزة الفنان محمد بكري لأفضل عمل وطني للفيلم الوثائقي الطويل، قبل أن يتمّ استحداث جائزة خاصة بأفلام الموبايل هذا العام.

«رولم» السعودي يتنافس على جائزة الروائي الطويل